أصل وتطور البازيليكا

عبدالرحيم ريحان بركات*

تعريف البازيليكا

تعتبر البازيليكا هى النموذج الأقدم كمكان عبادة للمسيحيين ومنها أخذت كل الأشكال المعمارية للكنائس حتى اليوم [١]، والبازيليكا هى كلمة يونانية ΒΑΣΙΛΙΚΗ فازيليكى وبالإنجليزية BASILIKA وكانت تطلق على مسكن الملك فى العصر الرومانى، أما فى اليونان فى العصر الهلينستى فكانت تطلق على قاعة الاجتماعات الملكية، كما أطلقت على حجرة العرش لقصر مرنبتاح فى ممفيس والقصور البطلمية فى مصر وظهر الإسم لأول مرة فى اللغة اللاتينية فى القرن الثانى قبل الميلاد ليطلق على الصالة العامة الكبيرة المكونة من بناء مغطى مفصول بواسطة بوائك مفتوحة [٢].

ويرى بتلر أن الكنيسة البازيليكية التخطيط بدأت بردهة مستطيلة انتهت فى الناحية الشرقية بحجرة صغيرة (الهيكل) يتوسط ضلعها الشرقى تجويف صغير أطلق عليه شرقية الكنيسة، ويفصل الهيكل عن الردهة المستطيلة عقد كبير (عقد الشرقية) وقد أضيف لهذا التخطيط البسيط فيما بعد رواقيين جانبيين، وحدثت إضافة ثالثة شملت مدخل الكنيسة ثم تطور الأمر بعد ذلك بوجود نوعين من البازيليكا الصغيرة والكبيرة تختلف حسب المضمون أو الهدف المشيد البناء من أجله [٣].

وفى الفترة المبكرة وجدت الكنيسة الطولية ذو الرواق الواحد [٤] وقد ظلت البازيليكا هى الطراز المعمارى للكنائس حتى منتصف القرن العاشر الميلادى كما أنها ظلت محافظة على مكانتها فى الغرب حتى عصر النهضة من منتصف القرن الرابع عشر حتى السادس عشر الميلادى حينما أدخل على الطراز البازيليكى تعديلات لم تغير كثيراً من شكلها المميز [٥] ومن أقدم أمثلة البازيليكا طبقاً لهذا التعريف نماذج لبازيليكا فى مدينة فانو بوسط إيطاليا تعود لعام ٢٧ قبل الميلاد تتكون من صالة مركزية مرتفعة محاطة من الأربع جهات برواق داخلى وقاعة علوية Gallery

---

* مدير منطقة آثار دهب – جنوب سيناء

1-Swift (E.H.): Roman Sources Of Christian Art, New York ,1951, p. 12.

2- Perkins (J.B.W.): Studies In Roman And Early Christian Architecture, London ,1994, pp. 448- 449.

٣ – مصطفى عبد الله شيحة : دراسات فى العمارة والفنون القبطية، القاهرة،١٩٨٨، ص ٦٠.

4- Strzygowski (J.): Origin Of Christian Church Art , Translated By Dalton (O. M.) And Brauholtz, (H. J.) Oxford,1923, p. 68.

٥ – أشرف سيد محمد حسن البخشونجى : دراسة أثرية للكنائس الباقية بمدينة ملوي فى العصر الإسلامى، رسالة ماجستير كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٣٦.

والمدخل الرئيسى فى منتصف أحد الأضلاع ويقابله حنية مستطيلة بارزة والتى تحوى مقعد الحاكم أو القاضى (شكل ١) [٦].

والحفائر الحديثة فى روما كشفت عن بازيليكا Aemilia وهى تعود لما قبل عصر الإمبراطورية الرومانية وهى نفس الطراز السابق، وفى الفترة المسيحية المبكرة كانت البازيليكا تشير إلى صالة تذكارية من صفين أو أربعة من البوائك الطولية وفى نهاية الرواق الأوسط توجد الشرقية مع الاختلاف فى التفاصيل، والبعض كان به شرقية والآخر من شرقيتين وهناك بازيليكا بدون شرقية.

ونجد بازيليكا بمجاز قاطع بين الصالة والهيكل مثلما تكرر فى اليونان، ومنذ وقت مبكر كانت المجتمعات المسيحية تلتقى فى المنازل الخاصة ثم تطورت لما يسمى كنيسة المنزل House Church ويمثلها جزء كبير من كنائس سوريا فى القرن الرابع الميلادى [٧] مثل كنيسة Kirk Beza شمال سوريا وكنيسة يوليانوس فى أم الجمال جنوب سوريا، وكلا الكنيستين نتاج التقاليد المعمارية المحلية التى تعود للقرن الثالث الميلادى وكانت كنيسة المنزل هى الشكل الوحيد للاجتماعات المنتظمة فى العالم المسيحى وكان لها دور كبير فى العمارة المسيحية فى القرن الرابع الميلادى، ومن نماذج البازيليكا المسيحية المبكرة هى الكنيسة الأسقفية التى بنيت تحت رعاية قسطنطين فى القسطنطينية، وهناك كنيستين لقسطنطين أشار إليهم المؤرخ إفثبيوس Eusebius المعاصر لقسطنطين على أنهما بازيليكا مسيحية مبكرة وهى كنيسة المهد وكنيسة القبر المقدس بفلسطين (شكل ٢)

وتتميز كنيسة المهد بوجود صالة من خمسة أروقة طولية وفى نهاية الرواق الأوسط عنصر معمارى مثمن به الكهف الذى ولد به السيد المسيح عليه السلام ببيت لحم ويتقدم الكنيسة أتريوم عبارة عن فناء أمامى فسيح ذو بوائك، أما كنيسة القبر المقدس فتحوى صالة البازيليكا وأتريوم ومزار أو مكان للدفن Martyri [٨] وفى مصر أخذت المبانى الكنائسية فى الظهور المكثف اعتباراً من القرن الخامس الميلادى وتميزت بالصغر والبساطة ووجود صالة من رواق واحد، والمذبح فى الجزء الداخلى من الشرقية المستطيلة كما وجدت كنائس لها هيكل ثلاثى الحنيات ومثال ذلك الكنائس القديمة المكتشفة بمنطقة كيليا ضمن مناطق وادى النطرون ومثال الكنائس

6 – Perkins (J.B.W.): op. cit., pp.449 – 457.

7-Perkins (J.B.W.): op. cit., pp.449 – 457.
8-ibid. pp.459 – 463.

ذى الهياكل الثلاثية الحنايا ظهرت فى كنيسة دير الأنبا شنودة بسوهاج (الدير الأبيض) ودير الأنبا بشوى (الدير الأحمر) [٩].

خصائص البازيليكا المسيحية المبكرة

كانت الوظيفة الأساسية للكنيسة بازيليكية الطراز هو الاحتفال بالخدمات المسيحية وكانت تستلزم فى القرون الأولى

١ – وجود قاعة اجتماعات كبيرة بها مائدة الذبح Altar ومكان للكاهن أو المطران وكان قد بدأ منذ القرن الرابع الميلادى اتجاه الصلاة إلى الشرق.

٢ – ضرورة الفصل بين رجال الدين clergy والعامة laity، وبين الرجال والنساء.

٣ – منبر pulpit لقراءة الدرس.

٤ – وسائل مناسبة للطقوس الدينية، و كان الدخول الأول لرجال الدين والمصلين.

٥ – حجرة بها منضدة لعطايا المؤمنين Diaconicon.

٦ – مكان للتعميد Baptistery .

٧ – قاعة علوية Gallery تعددت الآراء فى وظيفتها

فيذكر Mango أنها خصصت للنساء رغم أن Mango نفسه يقول أن مكان السيدات كان أحياناً فى الجانب الأيسر من صالة الكنيسة والرجال فى الجانب الأيمن، وأن القاعة العلوية وجدت فى البازيليكا داخل الأديرة رغم عدم وجود نساء بها مثل دير القديسة كاترين بسيناء وكنائس سوريا ولكنه يعزز رأيه بأنه لم يكن هناك تمييز بين الكنيسة الموجودة داخل دير (Monastic church) والكنيسة الغير متصلة بدير (parochial) ذلك لأن البازيليكا بناء مستقل بذاته [١٠].

ويرى سومرز كلارك أن المذبح الواحد لا يستخدم أكثر من مرة واحدة فى اليوم الواحد مهما كانت الظروف ولكن من الممكن إقامة قداس آخر فى نفس وقت القداس الأول إذا كان المذبح الثانى بنفس الكنيسة ولكن فى الدور العلوى ويقدسه كاهن آخر لجمهور آخر [١١] وهو الرأى الأكثر منطقية.

٨– مزار الحجاج Martyria وهو إما لتخليد مكان مثلما فى كنيسة المهد فى فلسطين، أو ليحوى مقبرة أحد الشهداء Crypt[١٢]..

٩– أشرف سيد محمد حسن البخشونجى : دراسة أثرية للكنائس الباقية بمصر الوسطى خلال العصر الإسلامى، رسالة دكتوراه كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٠.

10- Mango (C.): Byzantine Architecture , New York ,1976 , pp. 70-71.

١١– سومرز كلارك: الآثار القبطية فى وادى النيل، ترجمة إبراهيم سلام، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢٩٢.

.12- Mango (C.): op. cit., p 73

وتخطيط البازيليكا مستطيل الشكل، ويتكون من رواق أوسط Naveورواقان جانبيان، عرض الأروقة الجانبية نصف الرواق الأوسط، وكانت البازيليكا ذو الخمس أروقة نادرة وفى البازيليكا الكبيرة فقط [١٣]

وحتى فى هذه الحالة فإن الأروقة الجانبية أقل من الأوسط وعرض الأروقة الجانبية كان يحدد على أساس اعتبارات فنية يعتمد على قوة العوارض الخشبية الحاملة للسقف Roof Beams وكذلك قوة البوائك التى تدعم الجدران وبها نوافذ للإضاءة والتهوية على الجانبين [١٤]، وتقع حجرة الهيكل بالنهاية الشرقية لصالة الكنيسة، وتتوسط الشرقية Apse جدارها الشرقى والتىكانت نصف مستديرة ووضعت جهة الشرق للدلالة على اتجاه الصلاة ثم أصبحت من العناصر الأساسية فى الكنيسة وقد أخذت الهياكل بصفة عامة الشكل النصف مستدير الذى يبرز من خلف الجدار فى بعض الأحيان ولا يبرز فى أحيان أخرى وخصوصاً فى الكنائس المصرية [١٥]، والأرضية بالكامل أمام الشرقية مرتفعة ثلاث درجات أو أكثر لتشكل رصيف عريض مفصول عن المجاز القاطع بحجاب المذبح ويطلق على هذا الرصيف البيما Bema، وفى منتصف هذا الرصيف منضدة القرابين Altar [١٦] ويكون المذبح أحياناً بناء مربع يتوسط الهيكل ولا يلتصق بأى من جدرانه حتى يتسنى للكاهن أن يدورحوله أثناء إقامة القداس[١٧] وعلى يمين ويسار الهيكل يوجد حجرتين، الشمالية لتجهيز الخبز والخمر Prothesis، والجنوبية لراحة أو اجتماع رجال الدين أو مخزن آمن للأدوات والملابس المقدسة، ومدخل البازيليكا يتوسط الجدار الغربى يليه سقيفة مدخل مستعرضة Narthex، ويكون هناك أحياناً بأقصى النهاية الغربية فناء بأروقة بوسطه نافورة للاغتسال وهو الأتريوم Atrium والرواق الشرقى من هذا الفناء ملتصق بالبازيليكا ليشكل سقيفة مدخل مستعرضة[١٨].

ويغطى البازيليكا سقف من خشب Timber Roofed ويعلو سقف البلاطة الوسطى بالصالة عن باقى البلاطات، ويستخدم السقف الجمالونى فى المناطق ذات المطر

13- Lowrie (W.): Christian Art And Archaeology , New York ,1901, p. 107.

.14-Lowrie (W.): op.cit., p.107

١٥- أحمد عيسى أحمد : دراسة آثارية للعمائر القبطية الباقية بمحافظة سوهاج، رسالة ماجستير كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٨٩، ص ٢٥٥.

.16-Swift (E.H..): op. cit., p. 10

١٧- أحمد عيسى أحمد : المرجع السابق، ص ٢٦٠.

.18-Swift (E.H.): op. cit., p.11 – 9

الكثيف مثل منطقة سانت كاترين بسيناء وفى حالة عدم وجود أمطار يستخدم سقف مسطح، ولم يستعمل القبو البرميلى إلا فى حالة ندرة الأخشاب [١٩].

أصل البازيليكا

ارتبطت الآراء عن أصل البازيليكا بطبيعة المسيحية المبكرة نفسها، ويرى أصحاب النظرية الأولى أن المسيحية هى فرع من اليهودية ولذلك فهى ديانة شرقية لذلك بحثوا فى الشرق عن أصل البازيليكا أما أصحاب النظرية الثانية فيروا أن المسيحية الأولى نشأت فى أحضان الإمبراطورية الرومانية لذلك بحثوا فى الغرب فى الأسلوب الرومانى، ومن أصحاب النظرية الأولى العالم الألمانى كروزر Kreuser الذى يذكر أن المسيحية نشأت فى جوار يهود فلسطين لذلك من الطبيعى لهؤلاء المسيحيون أن يبنوا بيت العبادة الأول الخاص بهم طبقاً للتقاليد الموجودة فى هذه المنطقة وهو المعبد اليهودى خاصة معبدهم الكبير بالقدس الذى دمره تيتوس الرومانى عام ٦٩م ولم يعاد بناؤه أبداً بعد ذلك، وهذا المعبد يشمل بوابة عظيمة تؤدى للمذبح، ومنضدة Altar لإطلاق البخور ليهوه Jehovah وقدس الأقداس المحتجب، ويدحض هذا الرأى Kreuser نفسه الذى يقول أن شكل المعبد الكبير هذا فى مخيلة اليهود المؤمنين أى محض خيال فقط[٢٠]، فإذا كان شكل هذا المعبد ليس له وجود إلا فى مخيلة اليهود المؤمنين إذاً فلا يوجد دليل أثرى أو تاريخى على وجوده وإنما مجرد خيالات [٢١]، فهل يستند إليها كدليل على صحة رأيه ؟ بالطبع الإجابة بالنفى، ويذكر العالم الألمانى زيستيرمان Zestermann أن بعض عناصر البازيليكا أخذت من المعبد اليهودى الكبير Synagogue مثل سور المذبح Chancel Rail فى الكنيسة الغربية والإيكونستاسس وهو حجاب المذبح Altar Screen فى الكنيسة الشرقية، ويرد عليه سويفت Swift بأن الكنيسة الأولى لم تستمد شكلها من الهيكل الأصلى بالقدس(ما يسمى بهيكل سليمان) لأنه ليس له شكل محدد أو شكل يشابه الآخر على مستوى العالم، وربما تستمد الكنيسة شكلها الأول من المعابد اليهودية بالخليل المكتشفة فى الحفائر والتى تعود للقرن الثانى والثالث الميلادى أمثال تل هوم Tell Hum بالخليل فهناك معبد مكتشف ذو شكل مستطيل مثل الكنيسة المبكرة وليس به شرقية ولا يتقدمه نارزكس Narthex وواجهته الرئيسية تواجه الجنوب، والصالة مقسمة لرواق

١٩- أشرف البخشونجى: المرجع السابق، ١٩٩٤، ص ١٣٦.

20-Swift (E.H.): op.cit.,pp.12 – 15

٢١- أنظر. عبدالرحيم ريحان بركات : حقيقة الهيكل المزعوم، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، العدد الرابع يناير٢٠٠٣ ص ٦٧ : ٧٧.

أوسط وأروقة جانبية ولكنها ممتدة لقدس الأقداس وفوق الأروقة قاعة للسيدات يدخل لها من درج خارجى فى مواجهة الجدار الشمالى وتضاء من الداخل بشبابيك فى الأروقة والقاعات، ومسقوفة بسقف خشبى شائع ومنتشر من قطعة مزدوجة [٢٢]

ويستمر Swift ذاكراً أنه ربما تأثرت الكنيسة الغربية بهذه المعابد فى بعض الأشياء، ولكن الكنيسة الشرقية فى الفترة المبكرة لاحظنا فيها وجود فناء أمامى من جهة واحدة كما فى كنائس سوريا وفلسطين مثل كنيسة المهد فى بيت لحم وكنيسة إليونة Eleona على جبل الزيتون بالقدس والتى بناها قسطنطين، وكان هذا الفناء الأمامى بالمعبد اليهودى من ثلاث جهات وليس جهة واحدة [٢٣]

وفى النهاية يدحض Swift هذه النظرية تماماً بعدة أدلة

١- أنه لا يوجد أى تشابه بين البازيليكا المسيحية المبكرة والمعبد الكبير هذا ولا يوجد لدينا أى وصف دقيق يمكن الاعتماد عليه لهذا المعبد ورغم أن البعض حاول أن يرسم على الورق تصور له ولكن لم يتشابه حتى اثنين مع بعضهما ولا يوجد أى تصور يتطابق مع الكنائس المسيحية الأولى عدا الفناء الأمامى الذى يشبه الآتريوم.

٢- إن بقايا المعابد اليهودية المكتشفة فى الحفائر ليس لها أسلوب عام أو ثابت فنجد أشكال عديدة ومختلفة.

٣-أن المسيحية الأولى انتشرت عن طريق الرسوليين Apostles وخلفاؤهم فى رحلات تبشيرية خلال الإمبراطورية الرومانية ثم حدث صراع مع السلطات هناك بسبب رفض المسيحيون عبادة وتأليه الإمبراطور كما فى كل أنحاء الإمبراطورية لذلك تعرضوا للتعذيب، أى من الأولى أن تكون كنائسهم مستمدة من أصل رومانى [٢٤].

ويرى البعض أن أصل البازيلكا فرعونى مستمد من قاعة الاحتفالات لتحتمس الثالث فى معبد آمون بالكرنك ومنهم العالم الفرنسى ليرو Leroux الذى اكتشف بازيليكا فى جزيرة ديلوس Delos (شكل ٣) تتبع أسلوب قاعة الأعمدة المصرية Hall Hypostyle وهى شكل مستقيم مقسم من الداخل بصفوف من الأعمدة تشبه قاعة الأعمدة المصرية وهذا النظام يشبه البازيليكا المسيحية فى بهو الدخول وطريقة نوافذ

22-Swift (E.H.): op.cit.,pp.20 – 21.
23-ibid.pp.20 – 21.
24-ibid.pp.20 – 10.

الإضاءة [٢٥]، ويذكر الدكتور مصطفى شيحة أنه فى أغلب الظن التخطيط البازيليكى كان فى مصدره الأساسى مشتقاً من المعبد المصرى القديم والذى قدّم للكنيسة المصرية فى بداية طور عمارتها العناصر المعمارية الأساسية ومن مصر انتشر هذا التخطيط بعد ذلك إلى سائر أرجاء العالم المسيحى، فالأروقة الثلاثة موجودة فى المعبد وفى البناء البازيلكى، والشرقية يقابلها قدس الأقداس فى المعبد وإن اختلف المضمون الدينى بينهما من حيث الاستخدام بل إن كثيراً من العناصر الثانوية قد وجدت مشتركة بين المعبد و الكنيسة مثل أحواض التطهير على سبيل المثال كما أنه قد تم تحويل كثير من المعابد الوثنية القديمة فى مصر إلى كنائس مسيحية غداة إعلان الدين المسيحى ديناً رسمياً لمصر فى القرن الرابع الميلادى فغطيت الرسوم الوثنية بطبقة من الملاط وحفر ونقش مكانها الصلبان والرموز المسيحية الأخرى وتم استخدام أجزاء المعبد فى الأغراض الدينية المسيحية الجديدة ومن ثم فقد أصبح أمام أقباط مصر ذلك التخطيط المعمارى القائم على الأروقة والشرقية بصفة رئيسية فى جسم الكنيسة بعد ذلك [٢٦].

ويرى كروزيمر Krautheimer أنه إذا اعتمدنا على قاعة الأعمدة كدليل فقد ظهرت أيضاً مبانى بأسلوب الأعمدة هذا فى سوريا فى قصر سرجون فى خورس أباد، وظهر البناء ذو الأعمدة فى القرن الثالث والثانى قبل الميلاد فى الفترة الهلينستية باليونان ويعتقد أن هذا ليس دليلاً كافياً لتأصيل البازيليكا لقاعة الأعمدة المصرية أو السورية أو الهلينستية [٢٧] ويرى أدينى Adeney أن المعبد الوثنى لم يكن على الإطلاق هو النموذج الأول للبناء المسيحى ذلك أن المعبد كان معداً لبيت الإله ولم يكن مكاناً للاجتماع [٢٨].

أما أصحاب النظرية الثانية الذين بحثوا فى الغرب فى الأسلوب الرومانى عن أصل البازيليكا، ففى البداية نلقى الضوء على المفهوم الرومانى لكلمة بازيليكا والتى تعنى وظيفة أكثر منها تصميم بناء وهى عبارة عن صالة اجتماع كبيرة أو مكان لقضاء الأعمال أو مكان لتبادل الحديث والأخبار عن الإمبراطور أو سوق ووجود سوق يستلزم وجود منصة ليجلس عليها قاضى أو محكم ومساعديه، وفى المدن الكبيرة عدد من البازيليكا كان له وظيفة أخرى مثل مكان تغيير العملة أو بازار لبيع الأقمشة [٢٩]،

.25-ibid.pp.24 –25

٢٦- مصطفى عبد الله شيحة : المرجع السابق، ص ٦٠ : ٦١.

27-Krautheimer(A.): Early Christian And Byzantine Architecture Middlesex-England ,1975
. p.42

٢٨- مصطفى عبد الله شيحة : المرجع السابق، ص ٦٠.

29-Krautheimer (A.): op.cit., p.42.

وكانت البازيليكا فى روما تأخذ شكل مستطيل وله مدخل فى أحد أضلاعه الطولية وكانت هذه الأبنية تستخدم فى الأغراض التجارية ذات المستوى العالى لذا فقد كان يشترط فيها أن تكون فى موقع متوسط يسهل الوصول إليه حتى تفى بالغرض، وكانت أيضاً لإجراءات القضاء فقد كان يوجد داخل البازيليكا بوديم Podium يقع فى نهاية أحد الجدران وكان مخصصاً لموظف البلديات الذى كان يلعب دوراً فى إتمام الأعمال القانونية ومن أمثلة ذلك بازيليكا ألبيا التى تقع فى فورام تريانى بروما و بازيليكا سيبتمياس سيرفيرس التى تقع فى ليبتس ماجنا بشمال أفريقيا (٣٠).

و سميّت قاعات الاستقبال الكبيرة فى المنازل الفاخرة بازيليكا وكذلك قاعات الاستقبال داخل أو قرب القصور الإمبراطورية حيث يتوج الإمبراطور فى الحنية وهى نوع من أنواع تأليه الإمبراطور لذلك أخذت صبغة دينية وكذلك كانت هناك بازيليكا كمكان لتدريب الجنود وتحولت أيضاً لشكل دينى حيث أن الجنود ينتظموا فيها ويقسموا يمين الولاء أمام صورة الإمبراطور وأصبح المعنى يدور فى نطاق هذين المحورين الوظيفة الدينية والمدنية للبازيليكا (٣١).

ويرى لومير Lemaire العالم الفرنسى أن المسيحيين فى وقت مبكر كانوا يجتمعون فى منازل خاصة وذلك خلال القرن الثانى الميلادى، وفى القرن الثالث كان لابد من وجود كنائس يجتمعوا بها لزيادة أعدادهم وبدأت بما يسمى Church Houses أى منازل خصصت تماماً للاستعمال الدينى فقط وكان يطلق عليها باليونانية KUPIAKOV كيرياكون أى بيت الرب ومنها اشتق اللفظ الألمانى Kirche والانجليزى church (٣٢)

ويرى العالم الفرنسى Leroux أن الكنيسة البازيليكية فى الفترة المسيحية المبكرة ما هى إلا الأسلوب الغربى للبازيليكا الرومانية المدنية، ويرى Swift أن المسيحيين الأوائل اتخذوا شكل البازيليكا الوثنية الغربية كنموذج لكنائسهم المبكرة، حيث أن عمارتها كانت ملائمة لأداء الطقوس الدينية حيث يكون المصلين فى الأروقة، ويكون مكان رجال الدين على مصطبة مرتفعة، والكورس يقف فى مساحة مفتوحة أمام المصطبة مع بعض التوزيعات الطفيفة للأشكال الطقسية، ولأن المسيحية الأولى نشأت فى المنزل الرومانى فى القرون الأولى الميلادية لذلك فالكنيسة المسيحية هى ابتكار الفن الإمبراطورى الرومانى (٣٣).

٣٠- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٣٥.

31-Krautheimer (A.): op. cit.,p.42

.32-Swift (E.H.): op. cit.,p.19

.33-ibid.pp.29 – 30

ويرى جرابار Grabar أن البازيليكا المسيحية مستمدة من صالات المبانى العامه الرومانية أو حجرات الاستقبال والاجتماعات الإمبراطورية [٣٤]

ومن خلال الدراسات فى عصر النهضة والدراسات بواسطة المهندس الإيطالى Alberti عام ١٤٦٥ م وهو من رواد دراسة العمارة الرومانية فإنه وجد تشابهاً بين الكنائس المسيحية المبكرة وبقايا البازيليكا الإمبراطورية أو قاعات المحاكمة ويتضح التشابه من الآتى :

١ – أن الكنيسة المسيحية تشبه البازيليكا الرومانية الضخمة من حيث الشكل المستطيل.

٢ – تقسيمها من الداخل من قاعة وأروقة يفصلهم أعمدة أو دعامات.

٣ – كثير من البازيليكا الرومانية ينتهى بحنية مغطاة بنصف قبة حيث يتوج القاضى الرئيسى خلف حجاب.

٤– الأبواب والنوافذ بنفس الأسلوب.

٥– أرضيتها مفروشة بالرخام وجدرانها مزخرفة بالفرسكو أو الموزايك.

ولكن وجّهت لنظرية ألبيرتى Alberti انتقادات فى القرن التاسع عشر حيث نشطت الدراسات المعمارية بطرق جديدة وهى

١ – إن غرض ووظيفة البازيليكا الوثنية يتعارض مع استخدامها كنموذج لبيت عبادة للمسيحيين.

٢ – البازيليكا الرومانية كانت مبانى عامة تستخدم كقاعة محاكمة أو بورصة للمعاملات المالية، أى استخدمت لأغراض دنيوية، لذلك فمن غير المحتمل أن يتخذها المسيحيون كنموذج لكنيستهم.

٣ – تلاحظ أن البازيليكا المسيحية من القرن الرابع الميلادى، وبعد القرن الرابع الميلادى فى إيطاليا تم تزويدها بفناء أمامى يسمى أتريوم، والبازيليكا الرومانية لم يكن بها هذا العنصر وكذلك المجاز القاطع ليس له وجود فى البازيليكا الرومانية الوثنية.

٤ – سقف البازيليكا المسيحية لم يكن بأقبية مرتفعة ضخمة.

٥ – البازيليكا المسيحية بسيطة بأعمدة رشيقة.

ولكن الدراسات الحديثة أيضاً من خلال مقارنة بين نماذج من البازيليكا المدنية الرومانية بسلسلة من الكنائس المسيحية المبكرة، أكدت أن البازيليكا المسيحية مستمدة من أصل رومانى، فلقد تلاحظ فى بازيليكا بومبى Pompeii بإيطاليا و التى يحتمل أنها بنيت عام مائه قبل الميلاد التشابه بينها وبين البازيليكا المسيحية فى عدة أشياء:

34-Grabar (A.): Byzantine Architecture And Art , In - The Cambridge .Medieval History,Ed. Hussey (J. M.), vol. 4 part 2, Cambridge,1967, p. 311

١ – البناء مستطيل مكون من صفين من الأعمدة الداخلية.
٢ – يوجد دهليز عند نهاية المدخل الضيق.
٣ – توجد منصة فى النهاية البعيدة تواجه الأبواب.
٤ – يوجد مدخلين جانبيين فى المنتصف (شكل٤) [٣٥]

وهناك نماذج فى روما (شكل ٥) أرقام ١،٢،٣ باللاتينيةI, II, III ، وأخرى فى كريت رقم ٤ باللاتينية IVوفى آسيا الصغرى رقم ٨ باللاتينية VIII وفى أفريقيا رقم ٩ باللاتينية IX وهى نماذج غربية للبازيليكا المدنية والتى انشرت خلال الإمبراطورية الرومانية ويمكن مقارنتها بأمثلة من الكنائس المسيحية المبكر (شكل ٦) ومن المقارنة نجد الصلة القريبة بين رقم ١ فى شكل ٧ ورقم ١ فى شكل ٨ وهكذا رقم ٢ يشبه رقم ٢ فى كلا الشكلين [٣٦].

ويؤيد ذلك العالم الألمانى Kraus ذاكراً أن البازيليكا المسيحية مستمدة من القصر الإمبراطورى الرومانى ويتضح ذلك من بقايا القصر الإمبراطورى المكتشف فى تل بالاتين Palatine فى روما وهو من عصر Flavian فلافيان وبه العناصر التى شجعت المهندس المسيحى على اتخاذها نموذج لكنيسته [٣٧].

ويذكر د. فريد شافعى أن المسيحيين اعتمدوا على التقاليد الرومانية فى العمارة من حيث التخطيط والتفاصيل أى من حيث الجوهر والمظهر معاً فاتخذت تخطيطات الكنائس المسيحية الأولى من نماذج
البازيليكا الرومانية كما هى بدون تغيير كبير سواء فى إيطاليا أو خارجها، وأمثلة ذلك:
١– كنيسة سانت كليمانت فى روما التى أعيد بناؤها فيما بين عامى ١٠٩٩ – ١١٠٨ م على التخطيط القديم التى شيدت عليه فى الوقت المبكر من ظهور المسيحية (شكل ٧).
٢–كنيسة القديسة ماريا ماجيورى فى روما ٤٣٢ م التى بناها البابا سكستوس الثالث.
٣–كنيسة سانت أتييزى فى روما الذى أسسها قسطنطين عام ٣٢٤ م فوق قبر سانت أتييزى[٣٨] (شكل ٨) .
٤–كنيسة سانت أبولينارى فى مدينة رافينا ٥٣٤ – ٥٣٩ م .
٥– كنيسة الميلاد فى بيت لحم أسسها قسطنطين ٣٣٠ م فى الموضع الذى ولد فيه السبد المسيح وأعيد بناؤها بين عامى ٥٢٧ – ٥٦٥ م [٣٩].

35-Swift (E.H.): op. cit.,pp.13 – 29.
36-Swift (E.H.): op. cit.,pp.13 – 29.
.37-ibid. p.14
٣٨– فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية (عصر الولاة)، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٢٠ : ١٢١.

ومن خلال هذه المقارنات المعمارية يتضح أن البازيليكا المسيحية مستمدة من أصل رومانى.

عناصر التخطيط العام للبازيليكا

أصبح القداس فى عهد قسطنطين يبدأ بدخول الراهب ورجال الدين إلى الكنيسة وفى النهاية يتم تقديم القرابين فى موكب حيث يقوموا بوضع القربان على المذبح أو قرب المذبح على منضدة، وكان المذبح سابقا عبارة عن منضدة من الخشب كانت مخصصة للقداس ثم أصبح بناء مستقل يغطى بالذهب والأحجار الكريمة وأضيفت للكنيسة عدة وظائف دينية - إدارية - اجتماعية - منافع عامة وتبلور شكل الكنيسة وأصبح واسع وفسيح وذو طلعة وبهاء فى المواد.

ورغم أن المسيحية رأت فى الوثنية هى المعارض لأغراضها الجديدة لكنها حولت معابدها إلى كنائس وذلك قبل القرن الرابع الميلادى فى الشرق وقبل القرن السادس الميلادى فى الغرب وكانت تستخدم ككنائس صغيرة تتسع لعشرين أو ثلاثين أما فى عهد قسطنطين أصبحت تشمل مئات بل وآلاف الأعضاء وتطورت عمارتها طبقاً لذلك وكان يناسب هذا التطور التخطيط البازيليكى، وبحلول عام ٣٠٠ م أصبحت هناك بازيليكا توافق الطقوس المسيحية فهى صالة اجتماع تمثل بيت الرب وتتوافق مع الطقوس المسيحية تتكون من

- رواق أوسط ورواقان جانبيان
- سقف خشبى Timber Roof
- أمبون Pulpit
- نظام إضاءة بشبابيك كبيرة High Clerestory
- قاعة علوية Gallery

واعتمد بناء البازيليكا بهذه الملامح على عدة عوامل:

١- الحالة الاقتصادية، فراعى البناء وهو الإمبراطور أو المطران قد يكون فقير أو غنى ليستطيع شراء المواد الخام.

٢- أساليب البناء المحلية تحدد إذا كان البناء من الحجر أو الطوب أو إنشاءات خرسانية وكذلك توفر المواد الخام من خشب ورخام.

٣- الطقوس الدينية من مكان لآخر ففى بعض الأماكن رجال الدين يجلسوا فى الشرقية أوفى بعضها أمام الشرقية أو فى الأروقة[٤٠].

٤- الحالة الاجتماعية التى تتعلق بطبيعة أهل المنطقة وثقافتهم ونوع مساكنهم.

٣٩- المرجع نفسه، ص ١٢٣ : ١٢٤.

.40-Krautheimer (A.): op. cit., pp.40-41

٥- الحالة السياسية وهو موقف الحكومة من الإنشاء والتعمير.
٦- درجة التطور الفنى والمعمارى والهندسى التى بلغتها المنطقة المقامة بها البازيليكا[٤١]

١- الواجهات

قل الاهتمام بالشكل الخارجى للبازيليكا، والاهتمام بداخل الكنيسة لأن الكنيسة من الداخل رمز لملكوت السماوات وكل ما بداخلها طاهر ونقى وقربان ورائحة بخور، والمائدة الربانية على المذبح[٤٢] ولكن لم يلاحظ ذلك فى كنائس سوريا وبيزنطة والكنائس اللاتينية إذ اهتموا بداخل الكنيسة وخارجها[٤٣].

وأن البازيليكا بشكل عام تبنى من الطوب وأصبح الطوب بعد القرن الثانى الميلادى خشن جداً كما استعمله الرومان، وتغطى البازيليكا من الداخل بالرخام أو الحجر المنحوت أو دهان أو ملاط أما الخارج فمن طوب مكشوف بدون أى زخارف، وكانت الواجهة أحياناً تزخرف مثل داخل البازيليكا بالموزايك، وأحياناً تكون هناك عدة كنائس صغيرة Chapel تحيط بالبازيليكا، ودور ضيافة Hospices [٤٤]

٢- الأبواب

تكون الأبواب بالواجهة الغربية والباب الأوسط أكبر من الجانبين ويؤدى لسقيفة مدخل مستعرضة أو صالة الكنيسة مباشرة وأحياناً يوجد باب واحد بوسط الواجهة الغربية وضلفتى الباب مزخرفة مثل باب كنيسة التجلى بدير القديسة كاترين بسيناء وأحياناً يغطى الباب الخشبى بصفائح معدنية مزخرفة مثل باب كنيسة آيا صوفيا، أما الأبواب الجانبية فكانت قليلة الاستخدام عدا فى سوريا [٤٥] وتأثرت بازيليكا دير الوادى بطور سيناء بكنائس سوريا فى الأبواب الجانبية.

٣ - الآتريوم Atrium

هى المساحة أمام الكنيسة مربعة الجوانب، ممهدة بالرخام ومحاطة من كل جهة بظلة وتسمى أيضاً Quadriporticus وكان من الملامح المميزة للبازيليكا المبكرة فى الغرب وقليل الاستعمال فى الشرق ومن القرن الخامس الميلادى أصبح شائعاً فى كل المناطق وهو يمثل مدخل معظم البازيليكا ويحميها من ضوضاء الشارع وله عدة استخدامات فهو للتعليم عن طريق السؤال والجواب ولإطعام الفقراء وكان يستخدم

٤١- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٣٧.
٤٢- الفريد بتلر :الكنائس القبطية القديمة فى مصر ج ١، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، القاهرة، ١٩٩٣، هامش ص ٢٨.
٤٣- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٣٧.
44-Lowrie (W.): op. cit., pp. 128-129.
.45-ibid.p. 115

للدفن حيثما أصبح الدفن شئ معتاد فى المدينة، وبوسط الآتريوم فسقية مياه جارية تسمى Cantharus للطهارة الرمزية قبل دخول الكنيسة وهذه العادة مرتبطة بالعهد القديم وفى المعابد الكلاسيكية، وتصل المياه للفسقية عن طريق مواسير مياه وأحياناً الأمطار التى تسقط على الكنيسة وكان للفسقية فى بعض الأحيان سقف محمول على أعمدة أو تحاط بدرابزين من رخام منحوت [٤٦].

٤- سقيفة مدخل مستعرضة Narthex

Narthex مستمد من الكلمة اليونانية VAPΘHKAΣ نارثيكاس وتعنى سقيفة [٤٧] وأطلق عليه فريد شافعى سقيفة مدخل مستعرضة[٤٨] ويقصد بها الرواق المستطيل المستعرض الممتد بعرض الكنيسة فيما يلى المدخل الغربى مباشرة وفيما بينه وبين الصالة[٤٩] ويقول جروسمان أن من سمات المعمار الكنسى المصرى احتواءه على جناح غربى وبه درج يصعد للقاعة العلوية وخلال النصف الثانى من القرن الخامس الميلادى أصبح عنصراً نمطياً فى عمارة كنائس الصعيد[٥٠]، وأحياناً يوجد برجين يحيطا بهذه السقيفة [٥١].

وتختلف هذه السقيفة فى كنائس الشرق عنه فى كنائس الغرب، ففى الشرق تفتح على صالة الكنيسة بأبواب من داخلها جهة الشرق وباب السقيفة الخارجى جهة الغرب، أما فى الغرب فهى عبارة عن سقيفة خارجية ذات بائكات من الأعمدة بعرض الواجهة[٥٢]، وهذه السقيفة استخدمت فى عملية التعلم عن طريق السؤال والجواب فهى مكان لرجال الدين الذين يعملون عن طريق السؤال والجواب الذى يطلق عليهم Catechumen [٥٣] كما استخدمت فى الإرشاد والتقويم ونصح التائبين واستخدمت فى الكنيسة المصرية فى معاقبة المخطئين قليلى الإيمان بعدم دخولهم صالة الكنيسة إلا بعد التوبة واتباع تعاليم الديانة كما فرض عليهم أيضاً الانصراف فى هذه السقيفة عند مرحلة معينة فى مراحل القداس وهى التى تسبق طقس المناولة، وأحياناً كان يخصص للنساء إذ هو الموقع الوحيد بالكنيسة الذى يسمح بوجود النساء

46-Lowrie (W.): op. cit., p. 179.

47-Stavropouls (D.N.): op. cit., p.581.

٤٨- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٤، ص ١٨٢.

٤٩- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٣٣.

٥٠- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٤، ص ١٨٢: ١٨٣.

51-Krautheimer (A.): op. cit., p. 99.

٥٢- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٣٤.

.53-Krautheimer (A.): op. cit., p. 106

خلف الرجال[٥٤] وكان يستخدم فى عمليات التعميد والغطاس مثل كنيسة أبى سرجة وأبى سيفين بمصر القديمة، وفى الكنائس المبكرة كانت هناك حفرة غائرة فى سقيفة المدخل، كانت تستخدم سابقاً فى خدمة التبرك بالماء فى عيد الفصح والآن يستخدم حوض متنقل لهذا الغرض[٥٥].

٥ – صالة البازيليكا

تشمل فى الوصف المعمارى للبازيليكا الرواق الأوسط والأروقة الجانبية، وهى مكان جمهور المصلين بحيث يكون الرجال بالجانب الأيمن والسيدات بالجانب الأيسر، والجزء الشرقى منها أمام المذبح كان يسوّر أحياناً ليشكل مكان للمنشدين Schola Cantorum و كان يحاط من جانب بمنبر Pulpit لقراءة الإنجيل ومنبر Ambon بالجانب الآخر لقراءة الرسائل epistle[٥٦]، وتضاء بنوافذ علوية تفتح فوق الأروقة الجانبية للإضاءة والتهوية[٥٧] وأحياناً يرتفع الرواق الأوسط فى البازيليكا عن الجانبين وتكون نوافذ الإضاءة والتهوية فى الجزء العلوى من الرواق الأوسط[٥٨]، وأحياناً تغلق هذه النوافذ بشيش للحماية من البرد والمطر أو مصبعات حديدية Lattice work أو أحجار دقيقة أو رخام شفاف أو ألبستر والتى كانت تثقب بعناصر زخرفية وتملأ هذه الفتحات بالزجاج الملون أو أحجار صافية ولكنها عادة كانت تترك مفتوحة لإدخال الضوء والهواء، وهذه الفتحات صغيرة بدرجة تحمى الداخل من الأمطار وتقسّم كتلة الضوء لأشعة متفرقة حيث تنعكس على أعمال الموزايك فتعطيها بريقاً، ومن خلال انعكاسات الضوء من الأسطح الرخامية الملساء وأعمال الموزايك يزداد الضوء بالمبنى وفى حالة النوافذ من الألواح الحجرية يتم تكرارها حتى تتفادى قلة الضوء، أما وجود النوافذ بالجدار السفلى للشرقية فله تأثير غير مرضى لأنه يخالف المعنى الرمزى للشمس المشرقة فوق العشاء الربانى Morning Eucharist[٥٩].

٥٤– أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٣٤.

55-Williams (V. S.) And Stoks (P.): Blue Guide (Egypt), London,1993, p. 77.

.56-Swift (E.H.) : op. cit., p. 11

٥٧– أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٦٨.

58-Lowrie (W.) : op. cit., p.101.

.59-Lowrie (W.): op. cit., pp. 113 – 114

٦ – الدهاليز العلوية Gallery

تقع فوق الأروقة الجانبية وتستند جدرانها على البوائك السفلية ويصعد إليها غالباً بدرج يقع فى سقيفة المدخل[٦٠] والقاعة العلوية استخدمت كنائس مستقلة وأمثلة ذلك فى كنيسة سانت أجنيس بروما وكنيسة تسالونيكى باليونان التى تعود للقرن الخامس الميلادى، وأقدم الأمثلة بمصر هى بازيليكا الحيز فى واحة الحيز بالصحراء الغربية، ويصعد إليها بدرج أمام المدخل وآخر بالجانب الجنوبى للهيكل[٦١] وتتميز كنائس سوريا وفلسطين بالدور الواحد، وعموماً أصبح وجود القاعة العلوية فى البازيليكا هو السائد فى القرن السادس الميلادى[٦٢].

٧ -المجاز القاطع Transept

هو الرواق المستعرض شرق صالة البازيليكا ووظيفته غير محددة فيستخدم أحياناً مكان لأصحاب الشرف العظيم من الأرامل والعذراوات وكبار السن وذو المركز الاجتماعى الرفيع حيث يشغل المصلين Congregation الأروقة الجانبية من الصالة، وحتى مجموعة الإكليروس كانت متميزة فيما بينها فنجد مقعد المطران Archbishop فى منتصف دائرة الشرقية، والقساوسة Presbyters على جانبيه وفى مستوى أقل[٦٣]، والشماسين Deacons يقفوا قرب المذبح، والإكليروس الأقل مرتبة[٦٤] يكون موقعهم مع الجوقة فى الخورس وكل هذه الأقسام الأدنى لم يكن لها شكل معمارى وإنما يتم ذلك بهياكل أو ستائر وفى حالة وجود مجاز قاطع بالبازيليكا فإن المذبح لا يوجد تحت عقد الشرقية ولكن تحت العقد الذى يفصل المجاز القاطع عن الصالة ليترك مسافة بين المذبح والشرقية[٦٥].

٨ -الخورس Chorus

الكلمة من الأصل اليونانى خورس ΣXOPOوتعنى جوقة منشدين أو مرتلين Choir[٦٦] وكلمة خورس ليس لها أصل معمارى يعبر عن وظيفة بعينها[٦٧] ويذكر

.60-ibid. p. 112

٦١- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٤، ص ١٥١.

.62-Lowrie (W): op. cit., p.112

63-ibid. pp. 125 – 123.

٦٤- الشماس درجة كهنوتية لحاملها واجبات معينة أهمها قراءة فصول الكتاب المقدس وخدمة المذبح، الإكليروس هم رجال الدين المسيحى من أساقفة وقمامصة وقساوس وشماسة، والقمص يسمى ايفومينوس أى مدبر لأنه يدبر شئون الكنيسة مع اخوانه القساوسة أنظر ألفريد بتلر : المرجع السابق ج ٢، ص ٣٠٢ : ٣٠٧ : ٣٠٩.

65- ibid.pp. 125-123.

.66-Stavropoulos (D.N.): op. cit., p. 973

جروسمان أن الخورس ما هو إلا تطور للعقد المتقدم للهيكل (عقد النصر) Triumphal Arch وأول ظهوره كان فى أوائل القرن السابع الميلادى بالكنيسة الرئيسية فى دير الأنبا أرميا بجبانة سقارة وهو مخصص لجوقة المرتلين والشماسة بالكنيسة وهم المعروفون بالكورس ومنهم اشتق اسمه[٦٨] ومكان الخورس المساحة المستطيلة التى تمتد أمام الهياكل فيما يلى الصالة، وامتداده من الشمال للجنوب وعادة ما يفتح على الصالة وعلى الهياكل بفتحات تعلوها العقود وتكون الفتحة الوسطى هى الأوسع والأعلى ويملأ الفراغ أسفل العقود بالحواجز أو الحجب الخشبية أو أبواب فى الفتحات الجانبية ويعلو الخورس عن أرضية الصالة من ١٠ إلى ٣٠ سم ويحيط به حجرتان شمالية وجنوبية تسميان باستوفوريا Pastophoria[٦٩]

٩- الثرونوس tribunal

كلمة يونانية Φpovo ثرونوس وتعنى كرسى الأسقف أو البطريرك The papal throne[٧٠] وانتقلت للقبطية وتستخدم الآن فى العربية وهو المدرج المكون من سبع درجات من الرخام ويتخذ عادة الشكل الدائرى ويقع خلف المذبح[٧١] تمثيلاً للدرجات الكهنوتية السبع ويقع داخل الشرقية ويوضع كرسى الأسقف أعلى هذه الدرجات ثم كراسى الكهنة على الدرجات الأخرى كل حسب درجته والدرجات تبدأ من أرضية الهيكل إلى أعلى درجة وتمتد تجاه الشمال والجنوب[٧٢]، ويطلق عليه أحياناً منبر المطران أو كرسى العرش ويسمى بالإنجليزية Tribuna or Tribunal نظراً لتشابهها مع المنصة التى كان يشغلها القاضى فى البازيليكا المدنية الرومانية، وسميت bema لكونها مرتفعة بعدة درجات عن أرضية الكنيسة[٧٣] ويوجد الثرونوس فقط بالكنائس الكاتدرائية الكبيرة أو الكنائس التى يحضر المطران طقوسها بصفة مستمرة.

وعندما استخدم المذبح فى دفن عظام القديسين وأصبحت هناك مقابر أسفل أرضيته، وضع الثرونوس أمام الشرقية وليست بداخلها، ووظيفة الثرونوس فى الكنائس المبكرة

٦٧- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٢٦ .

٦٨- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٤، ص ١٥٤.

٦٩- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٢٦.

.70-Stavropoulos (D.N.): op. cit., p.379

٧١- كمال الدين سامح : لمحات من تاريخ العمارة المصرية منذ أقدم العصور وحتى العصر الحديث، القاهرة ١٩٨٦، ص ٤٩.

٧٢- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٤٤.

.73-Lowrie (W.): op. cit., p. 121

هو جلوس المطران والكهنة متوجهين بوجوههم جهة الغرب للوعظ والخطابة[٧٤] وتعتبر قراءة أجزاء من الكتاب المقدس والخطبة جزء هام فى طقوس العشاء الربانى فى الكنيسة المبكرة[٧٥] ومنذ القرن الرابع الميلادى كان الأساقفة يعظون أبناء شعبهم من فوق الإنبل Ambon ، وأصبحت وظيفة الثرونوس الحقيقية هى اجتماع الأساقفة مع أهل الكهنوت بالكنائس دون تواجد أو تدخل من العامة وذلك لحسن إدارة الكنائس وإجادة تحسين المستوى الدينى والعلمى للكهنوت ثم تغير بعد ذلك الثرونوس وقلت درجاته حتى بلغ ثلاث درجات، ثم تغير وضعه ومكانه من الهيكل إلى الجزء الأوسط الشمالى من الخورس بحيث يتجه الجالس نحو الجانب الجنوبى للكنيسة وليس الجانب الغربى [٧٦]

وبخصوص نوافذ البازيليكا فالتقاليد المحلية تحدد شكلها هل هى مستطيلة، معقودة، أو دائرية[٧٧].

١٠ – الهيكل Sanctuary

الهيكل فى اللغة العربية هو المكان الذى يحوى المذبح ويسمى بالإنجليزية Sanctuary أو Presbyterium والهيكل هو الضخم من كل شئ، والهيكل يعبر أيضاً عن موضع فى صدر الكنيسة يقدّم فيه القربان وتميزت هياكل الكنائس المصرية بتواجدها جهة الشرق على عكس كنائس جنوب إيطاليا جهة الغرب وترتفع أرضية الهيكل عن أرضية الصالة أو الخورس درجة واحدة على الأقل وقد يرتفع الهيكل عن منصة المرتلين التى ترتفع بدورها درجة أو اثنتين عن أرضية الصالة، وينفرد أهل الكهنوت بجواز دخول الهيكل كما لا يجوز دخوله بالحذاء، ويسمى الهيكل قدس الأقداس[٧٨] وتميزت الكنيسة القبطية بإنشاء هياكل ثلاثية المحاريب Triconch مثل كنيسة الدير الأبيض والدير الأحمر بسوهاج[٧٩].

١١ – الشرقية Apse

هى الحنية أو الدخلة النصف مستديرة أو المستطيلة التى تتصدر وسط الجدار الشرقى من الهيكل[٨٠] والاتجاه السائد لهذه الحنية وقوعها جهة الشرق لأنه ذكر فى الإنجيل أن مجيء السيد المسيح فى آخر الزمان سيكون من المشرق "لأنه كما أن

٧٤–أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٤٥ : ٤٦.

75-Lowrie (W.): op. cit., p.118.

٧٦– أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٤٥ : ٤٦.

77-Krautheimer (A.): op. cit., p. 99

٧٨– أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ١٠.

٧٩– أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٤، ص ١٣٧.

٨٠– أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٤١.

البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان " متى ٢٤ – ٢٧، لذلك فالمسيحى يولى وجهه جهة المشرق أثناء الصلاة ليكون فى مواجهة الاتجاه الذى سيأتى منه السيد المسيح فى مجيئه الثانى[٨١] وأن هذه الكوة الغير نافذة (الشرقية) بمثابة ذلك الشق الذى سيدخل منه السيد المسيح إلى الكنيسة معيداً إليها نورها وبريقها[٨٢] وهناك بعض الكنائس فى روما مثل كنيسة القديس بطرس تتجه الحنية للغرب وربما يكون ذلك تبعاً لاتجاه الشوارع القديمة، وفى بعضها نجد اتجاه الحنية شمال غرب مثل كنيسة القديسة ماريا، وأحياناً للشمال مثل كنيسة القديس مرقص، وأحياناً جنوب شرق مثل كنيسة القديس سابا إذاً اتجهت حنية الكنيسة فى روما كل الاتجاهات تبعاً لاتجاه الشارع، وتكرر ذلك فى كثير من الأماكن البيزنطية، وفى الفترة المسيحية المبكرة كان اتجاه الشرق يرتكز على المدخل وليس الشرقية، ورغم ذلك فلم تتجه الشرقية تجاه الغرب بدقة، فقد تنحرف قليلاً لأحد الجوانب[٨٣].

وأول من أدخل هذا العنصر هم الرومان فى معابدهم وحماماتهم إذ كانت توضع فيها صورة الآلهة وعرش الإمبراطور فى البازيليكات السابقة للمسيحية، ويرى الأثرى الألمانى د. جروسمان أنه بعد أن اتخذ الهيكل شكل شرقية نصف مستديرة كبيرة، لم تعد توجد دخلة رئيسية (شرقية) فى الجدار الشرقى للهيكل[٨٤].

١٢- المذبح Altar

المذبح فى اليونانية ΘUΣIAΣTHPIO ثزيستيريو أى مكان تقديم القرابين والذبائح، كما يطلق عليه أيضاً ΑΓΙΑ ΤΡΑΠΕΖΑ أجيا ترابيزة أى المائدة المقدسة[٨٥]، ويطلق عليه فى القبطية (ما ان ارشو أوشى) وتعنى مكان تقديم الذبيحة، والكلمة العربية مذبح اشتقت من الفعل ذبح وهى تدل على موضع الذبيحة[٨٦] ويقع المذبح تحت عقد الشرقية، ذلك لأن ارتفاع الشرقية دائماً أقل من ارتفاع السقف وعرضها أقل من عرض الصالة، والشرقية تقطع جدار الكنيسة فى عقد كبير يسمى Apsidal Arch يقع تحته المذبح، أو تغطيها نصف قبة[٨٧]، وأحياناً تكون الأرضية بالكامل أمام الشرقية مرتفعة ثلاث درجات أو أكثر لتشكل رصيف عريض Bema

---

٨١- الفريد بتلر : المرجع السابق، هامش ص ٢٢.

٨٢- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٤٣.

.83-Lowrie (W.): op. cit., p.176

٨٤- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٤٢ : ٤٣.

.85-Stavropoulos (D.N.): op. cit., pp. 381 –5

٨٦- الفريد بتلر : المرجع السابق ج ٢، ص ٧.

87-Lowrie (W.):op. cit., p120.

Presbytery or مفصول عن المجاز القاطع بحجاب المذبح، ويقع المذبح فى منتصف هذا الرصيف[٨٨].

والمذبح عبارة عن بناء مكعب الشكل يشيد وسط الهيكل وغير ملتصق بأحد جدرانه، ولا يتعدى طول ضلعه المتر الواحد، والشكل المكعب للمذبح تمثيلاً لقبر السيد المسيح عليه السلام، والمذابح الغربية تكون ملتصقة بالجدار وكانت إلى وقت قريب عبارة عن لوح رخامى يرتكز على عمود واحد فى الوسط[٨٩].

وتبنى منضدة المذبح من الطوب الآجر أو اللبن أو الأحجار[٩٠] ثم أصبحت منضدة من الخشب ذو قمة مستطيلة أو مثمنة محمولة على أربع أو خمس أرجل[٩١] وتغطى هذه المنضدة بثلاث طبقات من القماش حرير أحمر وكتان أبيض [٩٢].

ويغطى سطح المذبح من أعلى لوح حجرى أو بلاطة رخامية تتخذ أحد شكلين إما مستطيل أو نصف مربع متوج بنصف دائرة، وفى هذه الحالة يوضع الجزء النصف مستدير جهة الشرق والمستوى جهة الغرب وحوافها مشطوفة بشكل مائل للداخل، وهو مستوحى من شكل المنضدة التى أقيم عليها العشاء الأخير والتى صورها الفن البيزنطى[٩٣] وفى وسط المذبح تابوت العهد Ark وهو صندوق له غطاء محفور بصور الغشاء الأخير والعذراء مريم والقديس الراعى للكنيسة، وفوق المذبح تعريشة خشبية مرتفعة مقامة على دعامات[٩٤].

ودخل تطور على المذبح فى القرن السادس الميلادى نتيجة عادة دفن أجسام الشهداء داخل كنائس المدينة وذلك عدا روما حيث بدأت هذه العادة فى القرن الحادى عشر الميلادى، وأدى هذا لإنشاء سرداب Cryptأو قبو أسفل المذبح حيث كانت توضع البقايا فى كتلة حجرية ذو شكل مكعب مزخرفة من الأمام بشكل بوابة،وكان ما بين السرداب هذا وأرجل المنضدة يغلق بشرائح من الرخام، وأصبح أسفل المذبح يغلق تماماً من كل الجهات ليحوى البقايا ثم أصبح فى العصور الوسطى يحوى تابوت أو جسم ممتد بطوله أسفل المذبح[٩٥].

.88-Swift (E.N.):op. cit., p10

٨٩- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٤٨.

90-Williams (V.S.):op. cit., p.77.

.91-Lowrie (W.):op. cit., p.151

92-Williams (V.S.): op. cit., p.77.

٩٣- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٥٠.

94-Williams (V.S.): op. cit., p.77.

95-Lowrie (W.): op. cit., pp.164 – 167.

ويذكر البعض أن فكرة إنشاء عدة مذابح بالكنيسة يشير للثالوث المقدس، بينما يذكر آخرين أن المذبح الأول يشير لمذبح البخور والثانى مذبح القربان [٩٦] والثالث مائدة تابوت العهد حسب ترتيب خيمة الاجتماع فى العهد القديم، ويذكر سومرز كلارك أن تعدد المذابح بالكنيسة لأسباب طقسية، لأنه لا يمكن أن يستخدم المذبح أكثر من مرة فى اليوم الواحد[٩٧].

وتعدد المذابح بالكنيسة كان نتيجة وضع بقايا الأجساد داخل الكنيسة وبدأت هذه العادة فى القرن الخامس الميلادى فى الكنائس الجانبية ثم فى الكنائس الرئيسية وحتى فى الصالة نفسها، ومنذ القرن التاسع الميلادى أصبح يغطى المذبح سقف مربع محمول على أربع أعمدة ليحمى ويعظّم المذبح يطلق عليه Ciborium وكان فى الغرب يأخذ الشكل المخروطى أو الهرمى[٩٨] وتميزت البازيليكا القبطية بمصر بوجود ثلاث هياكل بثلاث مذابح، الهيكل الأوسط الرئيسى وبه كرسى الأسقف وهو الذى يكّرس على اسم شفيع الكنيسة بينما تكّرس المذابح الأخرى على أسماء قديسين آخرين[٩٩].

١٣ - حجرتا الهيكل الجانبيتين

يطلق عليهما باستوفوريا Pastophoria وهما الحجرة الشمالية ويطلق عليها Prothesis وتعنى طقس الإعداد وتختص بالإعداد للموائد المقدسة[١٠٠]أو لاستقبال وإهداء العطايا للناس ومنها يؤخذ الخبز والخمر للعشاء الربانى[١٠١] والحجرة الجنوبية تسمى Diaconicon تعبر عن مختصات الدياكون، وديا كون بالعربية تعنى شمّاس وهو أحد رجال الكهنوت بالكنيسة، وتختص بمتعلقات الدياكون من ملابس وأدوات، مما يحتاجه فى أداء الطقوس داخل الكنيسة[١٠٢]، وأيضاً يلجأ إليها الأفراد لدراسة الكتاب المقدس وتستخدم أيضاً لحفظ أوعية الكنيسة والكتب الدينية والمقدسة[١٠٣] وأحياناً يتم تحويل الحجرة الجنوبية إلى معمودية فتسمى حجرة المعمودية، أو يتم

٩٦- البخور هو المادة العطرية التى تحترق فى المجمرة وارتفاعه إلى السماء يشير إلى ارتفاع صلاة المؤمنين، القربان خبز مصنوع من الدقيق النقى المختمر ولا يضاف إليه ملح لأن الكاهن يختار منه قربانة الحمل التى تتحول أثناء صلاة القداس إلى جسد المسيح الذى لايرى فساداً، والحمل هو المسيح الذى صلب عن البشرية على مثال خروف الفصح ويطلق هذا الإسم كذلك على القربانة المختارة لصلاة القداس. أنظر ألفريد بتلر : المرجع السابق ج ٢، ص ٣٠٣ : ٣٠٨.

٩٧- سومرز كلارك : المرجع السابق، ص ١٦٥.

.98-Lowrie (W.): op. cit., p. 164

٩٩- سومرز كلارك : المرجع السابق، ص ٢٩٢.

١٠٠- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٢٢.

.101-Lowrie (W.): op. cit., p. 126

١٠٢- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٢٢.

.103-Lowrie (W.):op. cit., p. 126

تحويل كلا الحجرتان إلى هيكلين جانبيين، وفى كنائس سوريا استغلت إحداهما فى دفن جثث القديسين، وتأثرت الكنائس الشرقية فى حجرتا الهيكل الجانبيتين بالكنائس السورية، إذ وجدت بكنائس سوريا منذ أواخر القرن الرابع الميلادى، ثم حدد شكلها أثناء القرن الخامس الميلادى حتى أنها أصبحت ميزة للكنائس الشرقية، وتختلف طرق اتصال هاتين الحجرتين بالهيكل أو بالصالة، فنجدها أحياناً تتصل بالهيكل والصالة معاً عن طريق فتحات معقودة أو فتحات مداخل، ونجدها أحياناً تتصل بالصالة فقط وأحياناً بالهيكل فقط[١٠٤] وأحيانا نجد فى الكنائس الشرقية هاتين الحجرتين تبرزا فيما وراء التخطيط المربع، وتحيطا بالشرقية من كل جانب وتفتحا على الأروقة الجانبية، ومن الملامح المؤثرة فى الطقوس الشرقية هو مرور القساوسة تحمل عناصر العشاء الربانى خلال صالة الكنيسة وبمرور الوقت حيث قل استعمال هذه العطايا تحولت هاتين الحجرتين لكنائس صغيرة Chapels وأحياناً حجرات لحفظ الذخائر[١٠٥]وكلا الحجرتين الشمالية والجنوبية لا تحتوى على مذبح بل على منضدة موضوعة عند الحائط[١٠٦] وأحيانا تضاف كنائس جانبية صغيرة على الكنيسة الرئيسية ويطلق عليها باليونانية ΠΑΡΕΚΚΛΙΣΗ باريكليسى[١٠٧].

١٤- سقف البازيليكا

١ - السقف الخشبى Timber Roof

يسقف البازيليكا سقف خشبى والاستثناء هى بعض الكنائس فى سوريا، وفى البازيليكا سواء فى الشرق أو الغرب أو سوريا حيث يتوفر الخشب يكون السقف من جمالون خشب يغطى الرواق الأوسط والمجاز القاطع وسقف مظلة Shed Roof يغطى الأروقة الجانبية، ويغطى السقف بالرصاص أو البرونز وأحيانا ببلاطات التراكوتا[١٠٨] والسقف مدّعم بعوارض خشبية Rafters ممتدة من جدار لآخر لتشكّل مساحات مستطيلة ومربعة بها حشوات مجوفة Recessed تزخرف بالألوان الأزرق الداكن والأحمر وأحياناً يذهّب السقف[١٠٩] وتشترك الكنائس فى العصر المسيحى المبكر فى أنها قد غطيت بجمالونات من الخشب طبقاً للتقاليد الرومانية فى تغطيات الأسقف، وذلك فيما عدا الحنيات التى غطيت بأنصاف قباب من الداخل[١١٠].

١٠٤- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٢٢ : ٢٣.

.105-Lowrie (W.): op. cit., pp.126 – 127

١٠٦- الفريد بتلر : المرجع السابق ج ١، ص ٤٣.

.107-Stavropoulos (D.N.): op. cit., p.667

.108-Lowrie (W.):op. cit., pp.115 – 116

109-ibid. p. 118.

١١٠- فريد شافعى : المرجع السابق، ص ١٢٧.

٢ ـ القبة

ويذكر بتلر أن من خصائص البازيليكا التسقيف بقبة أيضاً، وهى تعود لأصل شرقى حيث جاءت من الهند إلى مصر ثم انتقلت عن طريق الإسكندرية للطراز البيزنطى[١١١] واستخدمت القبة فى العمارة الفرعونية فى مقبرة سنب غرب الهرم الأكبر من الأسرة الرابعة وكانت من الطوب اللبن[١١٢] كما استعملت قباب من الأجر فى عمارة البابليين الذين أنشئوا القباب فى قمة الزيجورات، ثم انتقلت لفارس، وفى العصر اليونانى الرومانى استخدمت القباب الخرسانية فى المعابد والمدافن والمبانى المدنية وتوجد أمثلة لها فى معبد vesta فى تيفولى الدى يعود لعام ٨٠ ق م، ومعبد فينوس ببعلبك ٢٧٣ م، وفى الحمامات مثل حمام كراكالا بروما ٢١١- ٢١٧ م[١١٣] وفى حالة التسقيف بقبة يكون شكل البازيليكا مربع حيث تغطى المساحة الوسطى قبة ترتكز على أنصاف القباب فى الناحيتين الشرقية والغربية لتغطى الإيوان الشرقى والغربى، كما ترتكز فى ناحيتها الشمالية والجنوبية على عقود متقاطعة تغطى الإيوان الشمالى والجنوبى، وبهذا أصبح مسطح الكنيسة على شكل صليب لذا أطلق عليه التخطيط المتعامد مثل قبة آيا صوفيا[١١٤] والتخطيط المتعامد Cross – Shaped مستمد من مبانى المزارات المتعامدة الرومانية Shrine ، وتطور البناء من الأعمال الحجرية الصلبة إلى طوب رقيق كما فى كنيسة آيا صوفيا وبدأ هذا التخطيط منذ عهد جستنيان فى القرن السادس الميلادى[١١٥]

وأصبح للقبة رمز خاص بالمسيحية، فهى رمز للجلالة الأرضية والسماوية، فهى مكان لطقوس السيد المسيح الملك ونائبه على الأرض وهى مظلة السماء وغطاء لشخص ذو مكانة دينية[١١٦] وتكون جدران البازيليكا ذو القبة سميكة[١١٧] واستخدم فى بناء القبة فى الفترة البيزنطية الطوب الأحمر والحجر والخرسانة[١١٨]ويطلق د. مصطفى شيحة على البازيليكا المغطاة بقبة التخطيط البازيليكى ويذكر أن تخطيط الكنيسة البيزنطية مربع الشكل ومغطى بقبة على أساس أن القبة والقبو من أبرز العناصر المعمارية فى

١١١- الفريد بتلر : المرجع السابق، ج ١، ص ٢٢.

١١٢- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٩٢ : ٩٣.

١١٣- أحمد عيس أحمد : المرجع السابق، ص ٢٤١.

١١٤- أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٤، ص ١٣٩.

.115- Krautheimer (A.):op. cit., p. 252

.116-Perkins (J.B.W.): op. cit., p. 129

.117-Lowrie (W.): op. cit., p.129

١١٨- أحمد عيسى أحمد : المرجع السابق، ص ٢٤١.

الكنيسة البيزنطية، كما أن الكنائس البيزنطية يغلب عليها التخطيط الصليبى وهو الأمر الذى لا يوجد فى الكنائس المصرية[١١٩].

٣ – القبو

القبو هو السقف المقوس الممتد فى استطالة واضحة ليغطى المساحات المستطيلة التى لا يمكن تغطيتها بالقباب

والقبو هو الطاق المعقود بعضه إلى بعض فى شكل قوس، أما القبوة فهى ما صغر من القبو، واستخدمت الأقبية البرميلية فى عمارة الرمسيوم فى مدينة طيبة عصر رمسيس الثانى ١٢٩٢ – ١٢٢٥ ق.م.، وفى مقابر بنى حسن أسرة ١٢، وفى غرفة الدفن بهرم زوسر[١٢٠] كما ظهرت الأقبية فى القصور الفارسية مثل قصر فيروز أباد، والبعض يقول أن القبو أصله مصرى وانتقل للعراق، والأقبية من الطوب الأحمر انتقلت للعالم المسيحى من العراق[١٢١] وظهر فى المدن اليونانية منذ القرن الثالث الميلادى[١٢٢] كما استخدمت قبل ذلك فى العالم المسيحى أقبية حجرية[١٢٣] وابتكر الرومان مادة الخرسانة التى ساعدت فى إنشاء الأقباء الطولية حيث كان يبنى باطنها ببلاطات فى حجم القوالب الطوبية ثم تصب الخرسانة فوقها وأحياناً كانت تصب الخرسانة على العبوات مباشرة ثم تكسى أوجهها بالملاط، والخرسانة القديمة كانت تتكون من بعض الخامات المعاد استخدامها مثل الدبش والدقشوم وبعض نفايات المبانى القديمة الصلبة[١٢٤].

١٥ – العناصر الحاملة للسقف

وتشمل الجدران والأعمدة والدعامات، وتكون الجدران سميكة فى حالة التسقيف بالقبة، وبخصوص الأعمدة فقد بدأت صناعة العمود الحجرى فى مصر القديمة فى تلك الجدران الساندة فى الهرم المدرج بسقارة ثم استخدمت الأعمدة فى المنزل الرومانى، واتخذت البازيليكا الأعمدة بدلاً من الدعامات لأنها تتيح تقسيم للمكان بدون تشويه، ولا تعيق مجال الرؤية أو سماع الأصوات، فضلاً على أن مادة الأعمدة والتى تحوى بدن

١١٩– مصطفى عبد الله شيحة : المرجع السابق، ص ٦١.

١٢٠– أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٨٩.

.121-Dalton (O.M.): East Christian Art, Oxford ,1925 , p. 78

122-Krautheimer (R.): Early Christian And Byzantine Architecture , Britain , .1965 , p. 163

.123-Dalton (O.M.): Op. Cit., P. 78

١٢٤– أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٩٠.

وتاج لها تأثير فنى وجمالى، وكانت الأعمدة تؤخذ من المبانى السابقة بأشكال وأطوال مختلفة يتم تنسيقها داخل البوائك، ولكن فى عهد قسطنين كان يتم صناعة الأعمدة[١٢٦] والأعمدة تحمل العقود والسقف، ويتكون العمود من

– قاعدة هى نقطة ارتكاز بدن العمود، وأحياناً توضع بلاطة مربعة Postament أسفل القاعدة للحصول على أرضية صلبة متينة ترتكز عليها القاعدة، وتكون هذه الأرضية من الرخام أو حجر جيرى وهى ابتكار رومانى أطلقوا عليه كرسى.

– بدن Shaft هو صلب الارتكاز الرأسى[١٢٧]

– تاج وتوجد قطعة حجرية أو خشبية ترتكز عليها العقود وتعلو تيجان الأعمدة تسمى طبلية Abacus والغرض منها زخرفى.

وهناك ما يسمى بالعمود النصف عبارة عن نصف عمود فى الطول ويبرز أيضا بروزاً نصفياً عن الجدران مع وجود كل أجزاء العمود بدن وقاعدة وتاج، ووظيفته زخرفية، فغالبا ما يتقدم الدخلات الصغيرة أو فتحات الأبواب أو النوافذ[١٢٨].

١٦- الأرضيات والجدران

تتكون أرضيات البازيليكا من الموزايك الحجرى طبقاً للعادة الرومانية أو من رخام بألوان فاتحة، أما الجدران الجانبية وتجويف الشرقية مبطن بالرخام الملون من أشكال هندسية كبيرة، وبقية الجدران تغطى بصور الموزايك والتى كانت فى الفترة المبكرة من القرن الرابع الميلادى من الأحجار، وبعد ذلك من مكعبات من الزجاج الملون بألوان عديدة على أرضية من ذهب أو لون أرجوانى، وأحياناً تنفذ الصور على الفرسكو[١٢٩]

وظهرت أعمال الفرسكو بمصر في جبانة البجوات وفى مقابر كرموز بالإسكندرية التى تعود للقرن الرابع الميلادى[١٣٠] وكانت الصور والرسوم الجصية هى السائدة فى الكنائس المبكرة واستمرت حتى القرن العاشر الميلادى، ثم أخذت تحل محلها الأيقونات التى ترسم على لوحات خشبية[١٣١].

126-Lowrie (W.): op. cit., p.108.

١٢٧– أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٧٣.

١٢٨– المرجع نفسه، ص ٧٥ : ٧٧.

129-Lowrie (W.) : op. cit., p.119.

١٣٠– أحمد عيسى : المرجع السابق، ص ٢٦٤.

١٣١–كمال الدين سامح : المرجع السابق، ص ٥٠.

١٧ – برج الكنيسة

إن تاريخ إنشاء أول برج[١٣٢] فى كنيسة غير معروف ومن المحتمل أنه كان ذو غرض دفاعى، وعرف فى الشرق والغرب من القرن الخامس الميلادى، وفى سوريا كان هناك زوج من الأبراج[١٣٣]

وتميزت كل ديانة بالدعوة للصلاة بطريقة معينة، فاليهودية تستعمل الأبواق، والمسيحية تدق الأجراس للاجتماع بالكنائس للصلاة ويسمى برج الكنيسة بالإنجليزية Companile، وينقل أشرف البخشونجى عن ريتشارد أن أبراج الكنائس تقام منفصلة عنها وتستخدم فى دعوة المصلين للعبادة، وأقدم مثال بمصر أشار إليه فانسليب عندما ذكر أنه رأى فى كنيسة القديس بطرس وبولس بالصحراء جرساً صغيراً يستعمل لدعوة الرهبان للصلاة والأعمال الأخرى[١٣٤].

١٨ – عناصر الأثاث المعمارى للبازيليكا

وتشمل المذبح حينما تكون المنضدة من الخشب، الحجاب، الأمبون

١ - الحجاب

Cancellus هى كلمة لاتينية تعنى الحجاب المنخفض الذى كان يفصل بين الهيكل والخورس، ثم أصبحت هذه الكلمة فيما بعد تطلق على الهيكل نفسه Chancel [١٣٥] والحجاب هو الذى يفصل بين الهيكل المكان المخصص للقساوسة، والصالة وهى المكان لمخصص للعوام، ولم يستطع العوام الدخول إلى ما بعد هذا الفاصل إلا عند تناول القربانة، وتطور الحجاب من القرن السادس الميلادى لما يسمى بالتيمبلون Templon عبارة عن ستائر علوية تستر الهيكل عن الصالة تماماً[١٣٦] وكانت هناك بائكة من أربع أو ست أعمدة أمام الهيكل ربما لإخفاء المذبح عن الناس أو لتدعيم الستائر وتقويتها[١٣٧].

١٣٢– ويطلق عليه أيضاً المنارة وهو البرج الذى يحمل جرس الكنيسة ومكانه عند المدخل أو جهة الهيكل ويدق الجرس للتنبيه إلى مواعيد القداس أو فى المناسبات المفرحة، ويعلوه صليب رمزاً لمكان العبادة المسيحية. أنظر الفريد بتلر : المرجع السابق ج٢، ص ٣١٠.

133-Lowrie (W.): op. cit., p. 131.

١٣٤– أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٤، ص ١٩٣: ١٩٤.

135-Lowrie (W.): op. cit., p.168

١٣٦– أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٥١.

137-Lowrie (W.): op. cit., p. 170.

والحجاب من خشب مطعم بالعاج والأبنوس يتوسطه باب عليه ستارة وعلى جانبيه شباكان وبه عدد من الأيقونات[١٣٨] ويمتد بعرض الكنيسة أمام الهيكل، وتحول الحجاب فى العصور الوسطى إلى إيكونستاسس Iconostasis [١٣٩] من الكلمة اليونانية EIKOVOΣTAΣIΣ إيكونستاسس وتعنى مكان وضع الأيقونات [١٤٠] ولم توجد الأحجبة فى الكنيسة القبطية قبل العصر الإسلامى، وأقدم حجاب هو الذى عثر عليه بتلر فى كنيسة العذراء بدير السريان بوادى النطرون ويعود للقرن العاشر الميلادى،وقد أخذت الأحجبة الخشبية فى الكنيسة القبطية شكل وتركيب وزخارف العصر الذى صنعت فيه بحيث لا يمكن تمييزها عن مثيلاتها من الأعمال الخشبية المستخدمة فى المساجد المعاصرة إلا فى وجود عناصر مسيحية صريحة كالصليب [١٤١]وكانت الأحجبة من خشب الخرط.

٢ – الأمبون

الأمبون أو الإنبل Ambon يشيد خارج الهيكل لقارئ النصوص المقدسة ويكون أقرب للناس، والأمبون مرتفع ويصعد إليه بدرجات ويسمى أحياناً البرج لارتفاعه، وأحياناً يكون وسط الصالة أو فى أحد جانبيها ويكون دائرى أو مثمن والدرج بجناحين وله درابزين[١٤٢] كما يستخدم فى الوعظ والخطابة، وكان يستخدم قديماً فى قراءة الإنجيل، ويشيد الإنبل من الرخام أو الخشب وقد يتخذ شكل حلزونى حول أحد الأعمدة بالصالة، واستعاضت الكنائس حالياً عن استخدام الإنبل باستخدام منصة المرتلين التى توضع أمام الهيكل الأوسط[١٤٣] ويعد الأمبون الذى اكتشفه كويبل Quible فى دير الأنبا أرميا بسقارة أقدم إمبون مسيحى فى مصر والذى أرّخه للقرن السادس الميلادى[١٤٤] والإمبون يختلف عن كرسى المطران الذى يسمى Cathedral والمخصص لإلقاء المطران خطبته داخل حدود الهيكل، أما الأمبون لإلقاء خطبة لمجموعة كبيرة من الناس فى البازيليكا الكبيرة[١٤٥].

.138-Williams (V.S.): op. cit., p. 170

.139-Grabber (A.): op. cit., p. 77

.140-Stavropoulos (D.N.): op. cit., p. 268

١٤١– أحمد عيسى أحمد : المرجع السابق، ص ٢٥٩.

.142-Lowrie (W.): op. cit., p. 174

١٤٣– أشرف البخشونجى : المرجع السابق، ١٩٩٧، ص ٦٠ : ٦١.

١٤٤– أحمد عيسى أحمد : المرجع السابق، ص ٢٥٩.

145-Lowrie (W.): op. cit., p.173

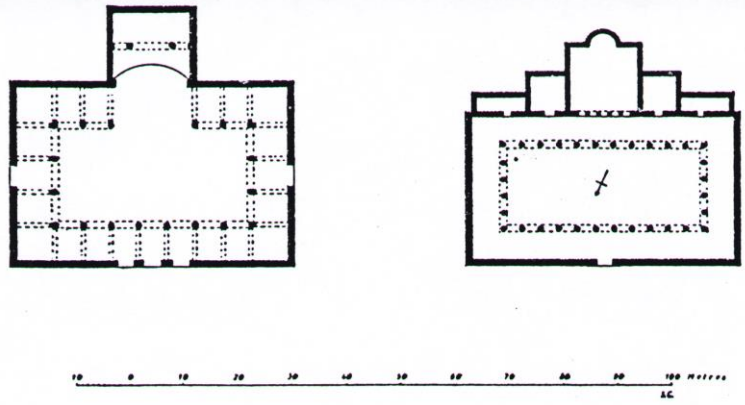

(شكل١) مسقط أفقى لنماذج من بازيليكا بمدينة فانو بإيطاليا تعود لعام ٢٧ ق.م. نقلاًعن
Perkins (J.B.W) : op. cit., p.451, fig 1.

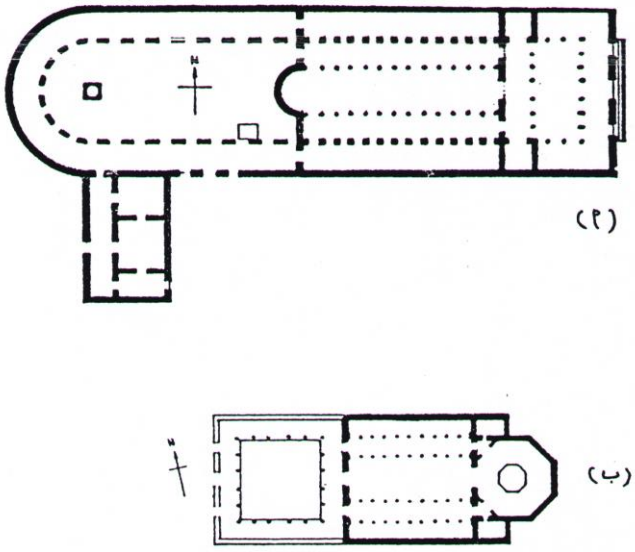

(شكل٢) (أ) مسقط أفقى لكنيسة القبر المقدس بفلسطين
(ب) مسقط أفقى لكنيسة المهد بفلسطين نقلاً عن ibid.,p.461.fig 3.

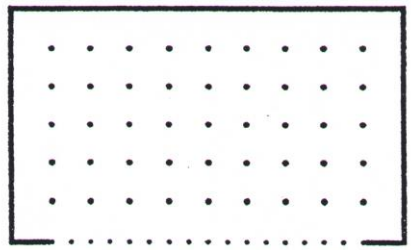

(شكل٣) مسقط أفقى لبازيليكا جزيرة ديلوس المكتشفة بواسطة العالم الفرنسى ليروكس نقلاً عن
Swift (H.): op., cit., p 22.fig.10.

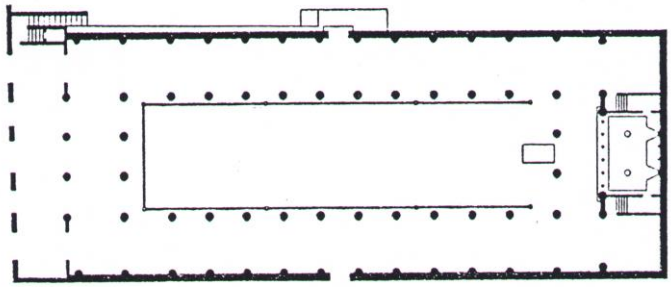

(شكل٤) مسقط أفقى لبازيليكا بومبى بإيطاليا نقلاً عن
ibid , p.l29. fig .22.

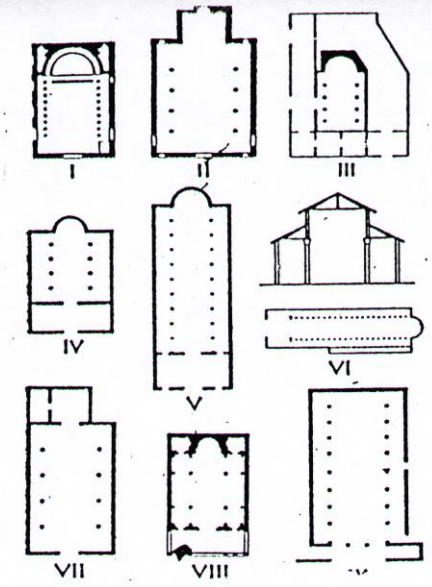

(شكل ٥) مسقط أفقى لنماذج من البازيليكا الرومانية بالإمبراطورية الرومانية بروما وكويت وآسيا الصغرى وأفريقيا نقلاً عن

ibid , p.30, fig. 23

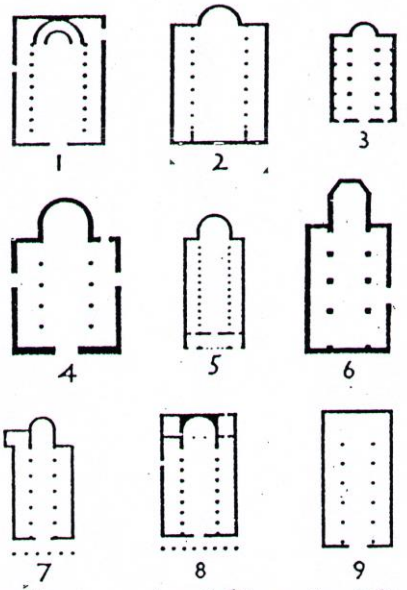

(شكل ٦) مسقط أفقى لنماذج من الكنائس المسيحية المبكرة بروما نقلاً عن

ibid p. 30, fig.24

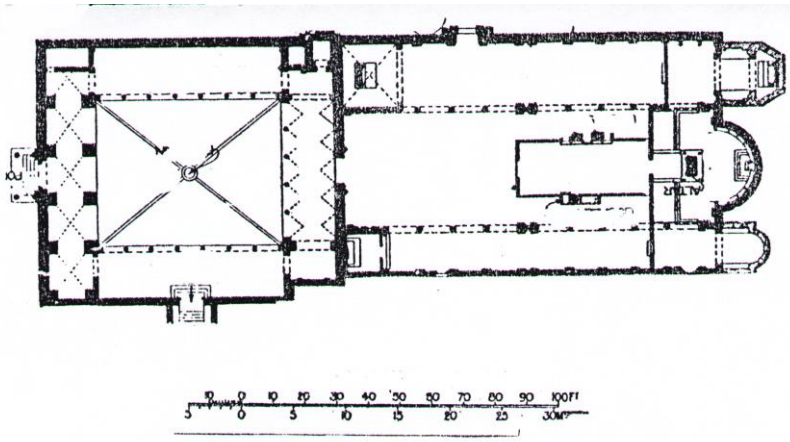

(شكل٧) مسقط أفقى لكنيسة سانت كليمانت بروما نقلاً عن
فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ١٢١، شكل ٥٩

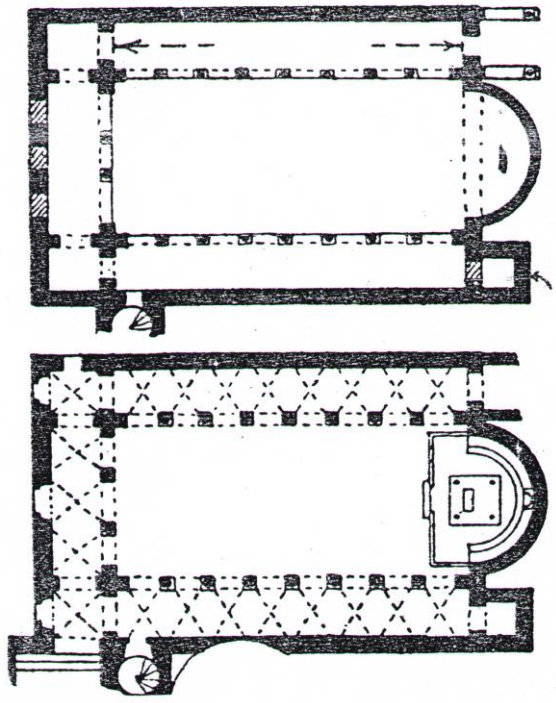

(شكل ٨) مسقط أفقى لكنيسة سانت أتييزى بروما (الدور الأول والدور العلوى) نقلاً عن
المرجع نفسه ، ص ١٢٢، شكل ٦١، ٦٢.